

هنا الشام من بغداد

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

لعل من أمتع صور مراسم الاستقبال التي تقيمها دولة مضيئة لرئيس جمهورية ضيف هو ما شاهدته خلال حفل الاستقبال الرسمي الذي أقامته دولة العراق للرئيس المصري وأيضا للعاهل الأردني استعدادا لمؤتمر القمة الذي جمع الزعماء العرب الثلاثة، مصطفى الكاظمي وعبد الفتاح السيسي وعبد الله بن الحسين، بل وتميزت أنها الزيارة الأولى لرئيس مصري إلى العراق بعد انقطاع امتد 30 عاما.

ما أغراني في مراسم الاستقبال تلك أن رئيس الوزراء العراقي كان يصاحب ضيفه عبر ممرات القاعات التي عبققت بموسيقى حبة لبلاد الرافدين تعزفها جوقة من الشباب والشابات لتملأ القصر الرئاسي عبقا قديما من تاريخ حمورابي العريق حيث نظم أول قانون في عمر البشرية.

أما الصبايا البابليات من المضيفات للقمّة، اللواتي ارتدين أزياء تملّ الحقب الحضارية التي مزّت على بلاد الخصب والسلام والجمال على امتداد آلاف السنين، فجنّ ليسيفن على المشهد الاحتفالي القا على الق. ولعل تلك المراسم - على رمزيّتها - تشي بزروع جديد يتشكل في العقل السياسي للمنطقة نحو استرجاع صور من التاريخ الثقافي النضير لشعوب بلاد الشام التي شكّلت بنيتها التحتية الحضارية والثقافية عبر الألاف من السنين خزانا للعلوم والأدب وفنون الحكم وشرائع القانون، ومازالت البشرية تتهل من نبعه السابق للعصور حتى يومنا هذا.

أما عن الأرضية السياسية للقمّة الحالية التي هي الرابعة في سلسلة اجتماعات متعاقبة بهدف تشكيل حلف جيوسياسي بمسمى "الشام الجديد" سيضمّ بداية العراق والأردن ومصر، مع إمكانية انضمام دول إقليمية شقيقة في المستقبل، ترتبط جغرافيا وتتقارب سياسيا مع نهج الدول الثلاث، فتبدو أكثر رسوخا وقوة بسبب ارتفاع منسوب الإرادة السياسية لدى الدول الثلاث في تحويل هذا المشروع المستقبلي من الفكرة إلى الواقع العملي المعيش.

المشروع تغيب عنه سوريا رغم أنها نواة بلاد الشام حسب جغرافيا ما قبل ساكس بيكو، وإن عاصمتها دمشق - حاضرة الأمويين - تدعى الشام أيضا. أما الغياب الدرامي لدولة بحجم سوريا لها شراكاتها التاريخية مع دول الجوار، فمرهه المباشر يعود إلى طبيعة الحلف الذي أدخلت به حكومة الأسد البلاد في رباط عقائدي لا ينفصم مع دولة ولي الفقيه في إيران. بينما يهدف الشام الجديد إلى إعادة العراق للحضن العربي بعد سنوات من محاولات مستميتة من حكومة طهران لابتلاع قرار بغداد السياسي والأمني والاقتصادي، وإحاقها بالحال السوري واللبناني على أساسه، حيث كلمة الميليشيات التي يديرها الحرس الثوري وفيلق القدس من طهران هي العليا، ولا يد فوق يدها.

اجتماع نواة دول الشام الجديد يبدو في محيطياته الأولية حلفا ذا منافع استراتيجيّة ستبداها الدول الثلاث؛ فالعراق، بموارده النفطية الهائلة، سيقود الحلف بشريان النفط الذي سيمتد عبر أنبوب لنقل البترول العراقي من مدينة البصرة إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط في شمال مصر مرورا بميناء العقبة جنوب الأردن، ما سيسمح بوصول النفط العراقي إلى سواحل

المشروع تغيب عنه سوريا رغم أنها نواة بلاد الشام حسب جغرافيا ما قبل ساكس بيكو، وإن عاصمتها دمشق - حاضرة الأمويين - تدعى الشام أيضا. أما الغياب الدرامي لدولة بحجم سوريا لها شراكاتها التاريخية مع دول الجوار، فمرهه المباشر يعود إلى طبيعة الحلف الذي أدخلت به حكومة الأسد البلاد في رباط عقائدي لا ينفصم مع دولة ولي الفقيه في إيران. بينما يهدف الشام الجديد إلى إعادة العراق للحضن العربي بعد سنوات من محاولات مستميتة من حكومة طهران لابتلاع قرار بغداد السياسي والأمني والاقتصادي، وإحاقها بالحال السوري واللبناني على أساسه، حيث كلمة الميليشيات التي يديرها الحرس الثوري وفيلق القدس من طهران هي العليا، ولا يد فوق يدها.

اجتماع نواة دول الشام الجديد يبدو في محيطياته الأولية حلفا ذا منافع استراتيجيّة ستبداها الدول الثلاث؛ فالعراق، بموارده النفطية الهائلة، سيقود الحلف بشريان النفط الذي سيمتد عبر أنبوب لنقل البترول العراقي من مدينة البصرة إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط في شمال مصر مرورا بميناء العقبة جنوب الأردن، ما سيسمح بوصول النفط العراقي إلى سواحل

المتوسط لتصديره إلى أوروبا بأسعار منافسة نظرا لما سيحققه هذا الأنبوب من تخفيض في كلفة النقل.

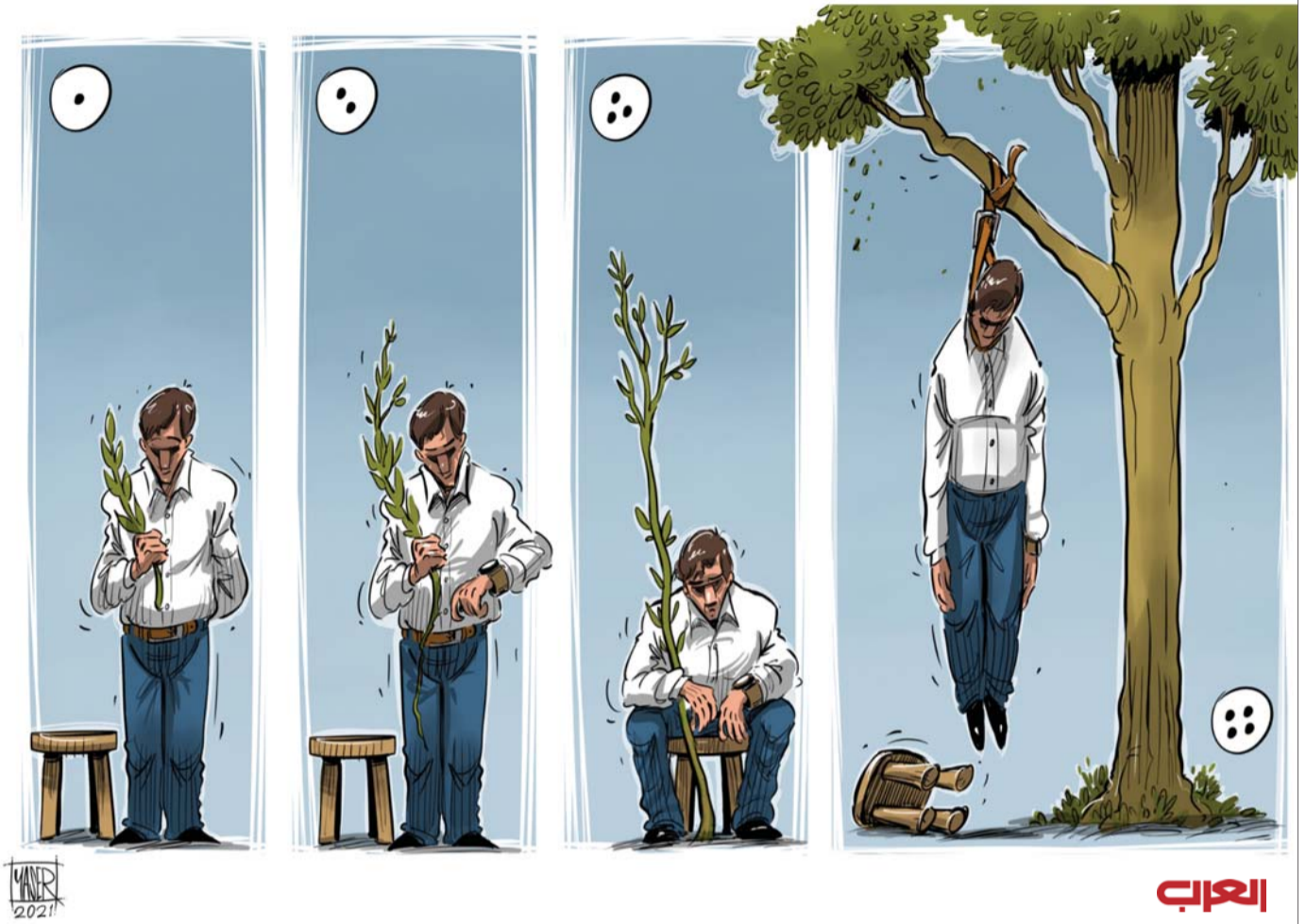
كما يطمح المشروع إلى تبادل الخبرات والطاقت مع مصر ذات الموارد البشرية الهائلة، إلى جانب تشجيع تيسير استيراد الصناعات المصرية التي ستكون وجهتها القادمة أسواق العراق، كما ستكون لمصر الأولوية أيضا في توريد الكهرباء إلى العراق بأسعار زهيدة على مبدأ تبادل المنافع الاستثمارية والإيمانية بين البلدين.

فصل المقال يكمن في طبيعة الحلف الوليد المسمى على اسم بلاد الشام، فهو لن يكون مجرد خطة طموحة للتكامل الخدمي والتجاري وحسب بل هو سهم سينفجر في قلب الهلال الشيعي

أما الأردن بموقعه الواسع بين البلدين وعلاقاته الدولية المعتدلة التي غالبا ما تقف على مسافة واحدة من أغلب القوى ذات النفوذ في المنطقة، وبموارد البشرية وصناعاته الخفيفة ولاسيما الغذائية التي تستنشد دورة المال وتنعش اقتصاد المملكة من خلال توريد صناعاته في الاتجاهين، فسكون جزءا من الفائدة الكبرى التي سيجنيها من الحلف الجديد. الجزء الأكثر أهمية من المنفعة الأردنية سيكون سياسيا بامتياز متمثلا في قطع الطريق على مشروع "الهلال الشيعي"، وهو المشروع بعيد المدى لدولة العمامات السود في إيران الذي يباه أصحابها على جماعهم ودماء الشعوب حيث الحكومات الأوتوقراطية التي ساهمت بتسهيل تغفل ميليشيات إيران الطائفية وحرسها الثوري إلى أرضها حتى غدت وشعوبها رهينة لديها، والحكم الطائفي في سوريا وفي لبنان خير مثال على الغزو الإيراني الدموي المنهج لدول ذات سيادة أتى وجدت طهران لها سبيلا.

توقيت هذه القمة استراتيجي بامتياز، وهي تبعث رسالة واضحة إلى الدول الراقية لاجتماعات فيينا مع الطرف الإيراني للوصول إلى اتفاق نوي جديد مع حكومة طهران، بأن لا ضرورة للاستعجال في اتفاق لا يضع حدا واضحا دعما بالعقوبات الراقدة ليس فقط للمشروع النووي الإيراني، بل لمشاريعها العسكرية متعددة الأثرع التي تستخدم الأسلحة غير التقليدية كطائرات الدرون محلية الصنع ورخيصة التكلفة للهجوم على المدنيين في دول الجوار وضرب المنشآت الحيوية، لا تفرق بين هدف عسكري أو مرفق مدني.

فصل المقال يكمن في طبيعة هذا الحلف الوليد المسمى على اسم بلاد الشام والحامل لهيبتها ونقلها التاريخي؛ فهذا الحلف لن يكون مجرد خطة طموحة للتكامل الخدمي والتجاري وتبادل المنافع التنموية والاستثمارية وحسب، بل هو سهم سينفجر في قلب الهلال الشيعي الذي أرادته إيران قوسا طائفيًا عابرا للحدود يقوم على نزعة التطرف والتبعية لولي الفقيه بعد أن عملت ميليشيات حرسه الثوري خرابا وقتلا وقتنا، في العراق وسوريا ولبنان وصولا إلى اليمن، بغرض السيطرة وتدمير القلب الحي من العالم العربي كما حدث لدمشق الأسيرة.



مصر والعراق... وغزة

من غزة سيتقرر ما إذا كانت مصر ستكون قادرة على لعب دور إقليمي فعال على كل صعيد. الدور الفعال يعني الدور الإيجابي الذي يساعد المنطقة كلها في استعادة بعض توازنها

عداء لدى العاهل الأردني للشعبية بأي شكل، على العكس من ذلك، هناك علاقة متميزة ربطت دائما الهاشميين بالشيعة. كان عبدالله الثاني في الواقع يحذر من استخدام إيراني للغرائز المذهبية في سياق صعبها لتنفيذ مشروعاتها التوسعية الذي أخذ بعدا جديدا بعد سيطرتها على العراق.

لا شك أن رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي يتعرض حاليا لضغوط كبيرة مصدرها إيران. كان آخر دليل على ذلك اضطرابه إلى حضور العرض العسكري لـ"الحشد الشعبي" السبت الماضي بصفة كونه القائد الأعلى للقوات المسلحة. يعرف الكاظمي، قبل غيره، عمق العلاقة بين ميليشيات "الحشد الشعبي" من جهة وإيران من جهة أخرى. لكن عليه تدوير الزوايا في هذه المرحلة الصعبة والدقيقة التي يمر فيها بلده الباحث عن توازن بين العالم العربي من جهة و"الجمهورية الإسلامية" من جهة أخرى.

ستكون لمصر قدرة أكبر على لعب دور إقليمي، بما في ذلك في العراق، في حال نجاحها في غزة. ففي القطاع، القريب منها، تواجه مصر كل أنواع التحديات، بما في ذلك النفوذ الإيراني داخل "حماس". هناك أيضا النفوذ التركي في غزة الذي سيتوجب على مصر أخذه في الاعتبار. من غزة سيتقرر ما إذا كانت مصر ستكون قادرة على لعب دور إقليمي فعال على كل صعيد. الدور الفعال يعني الدور الإيجابي الذي يساعد المنطقة كلها في استعادة بعض توازنها، وليس كله في طبيعة الحال.

في وقت كان إسما عيل هنية رئيس المكتب السياسي لـ"حماس" يجول في المنطقة ويتحدث عن "انتصارات" على إسرائيل، فيما أهل غزة في الحضيض، كانت مصر تتوسط مع إسرائيل من أجل تمرير كمية من الوقود تساعد في تشغيل مولدات الكهرباء في غزة. هذه خطوة مهمة تصب في اتجاه رفع الحصار الإسرائيلي عن القطاع. تظهر هذه الخطوة أن لدى مصر أوراقها وأنها أبعد ما تكون عن التعاطي مع الشعارات الفارغة. على العكس من ذلك، هناك أساس لدور مصري انطلاقا من غزة في ظل إدارة أميركية بذلت جهودا كبيرة وضغطت على إسرائيل من أجل وقف حرب الأحد عشر يوما الأخيرة...

سيتبين في الأيام القليلة المقبلة إلى أي حد ستهذب مصر في لعب دورها في غزة وإخراج أهلها من حال الحصار فعلا بدل إطلاق الشعارات الوهمية الذي تشجع عليه إيران وتركيا ومدرسة الإخوان المسلمين بكل فروعها.

وأدت إلى ضياع العراق في نهاية المطاف.

لا شك أن الزيارة الأخيرة التي قام بها الرئيس المصري إلى بغداد ترتدي أهمية خاصة في ضوء التحولات التي شهدتها العراق في العقود الثلاثة الأخيرة. تختزل هذه التحولات العراقية التاريخ الحديث للمنطقة في ضوء صعود قوى غير عربية ثلاث هي إيران وتركيا وإسرائيل.

استطاعت مصر في الماضي تغيير المنطقة كلها. كان ذلك التغيير إبان حكم جمال عبدالناصر الضابط الآتي من الريف العاجز، بسبب ثقافته المتواضعة، عن فهم معنى المدينة المصرية بتنوعها السكاني على وجه الخصوص. لم يستوعب في أي لحظة خطوة مغادرة الجاليات الأجنبية للمدن المصرية، مثل القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية. بعد تأميم قناة السويس في العام 1956. جعل ناصر العرب عموما يدخلون في حال من اللاوعي الجماعي. بين أخطر ما أدت إليه تلك الحال الانقلاب العسكري الذي وقع في العراق في 14 تموز - يوليو 1958 الذي كان آخر يوم أبيض في البلد.

ما ال إليه العراق منذ 1958، تاريخ المجزرة في حق العائلة المالكة الهاشمية، ليس سوى مأساة من بين الماسي التي تسبب بها جمال عبدالناصر الذي وضع الحجر الأساس للنظام الأمني في سوريا إبان عهد الوحدة المشؤوم (1958 - 1961) ثم ما لبث أن أخذ العرب إلى هزيمة 1967 التي لا تزال المنطقة والشعب الفلسطيني يعانيان من ذيولها.

الزلازل العراقي في العام 2003 وتسليم إدارة جورج بوش الابن العراق على صحن من فضة إلى "الجمهورية الإسلامية" ونقله قادة الميليشيات المذهبية العراقية التابعين لإيران إلى بغداد على دبابة أميركية. بعد 2003، فقدت المنطقة كلها توازنها. يجعل فقدان التوازن، المستمر إلى اليوم، من الدور المصري حاجة إقليمية، لكن السؤال الذي سي طرح نفسه بإلحاح مرتبط أساسا بمدى قدرة مصر على لعب دور إيجابي في ظل النفوذ الإيراني الذي يطل برأسه يوميا.

لا شك أن مصر تمتلك أوراقا كثيرة من بينها النجاح الذي حققه السيسي منذ العام 2013 في مجالات مختلفة في مقدمها الاقتصاد. لعب دورا في تمكن مصر من النقاط أنفاسها داخليا بعدما كاد الإخوان المسلمون يقضون على البلد، فيما راحت إيران تستغلهم على طريقتها. ما قد يساعد مصر في لعب دور إيجابي في العراق، على خلاف الدور الذي لعبه جمال عبدالناصر في خمسينيات القرن الماضي وستيناته، التنسيق القائم بين القاهرة وعمّان. أثبتت التجارب أن الملك عبدالله الثاني يمتلك رؤية فريدة من نوعها بالنسبة إلى الأحداث الدائرة في المنطقة. لم يكتف في آب - أغسطس 2002 بتحذير بوش الابن مباشرة من غزو العراق ونتائج ذلك على المنطقة، بل كان في تشرين الأول - أكتوبر من العام 2004، الوحيد الذي حذر في حديث إلى "واشنطن بوست" من "الهلال الشيعي" الممتد من طهران إلى بيروت عبر بغداد ودمشق. لا

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

أكثر من أي وقت، يبدو مطلوبا من مصر ممارسة دور على الصعيد العربي على الرغم من كل الهموم التي تحيط بها بدءا بغزة، مروراً بلبنان، وصولاً إلى سد النهضة الإثيوبي. لا خيار آخر أمام مصر غير ممارسة دور إقليمي. ذهب رئيسها عبدالفتاح السيسي إلى بغداد للمشاركة في القمة المصرية - العراقية - الأردنية. هذا يدل على رغبة في السعي لإحداث تغيير في المنطقة على الرغم من كل الصعوبات القائمة.

هناك رئيس مصري في بغداد للمرة الأولى منذ واحد وثلاثين عاما. في مثل هذه الأيام من العام 1990، سعى الرئيس الراحل حسني مبارك إلى التوسط بين صدام حسين وأمير الكويت الراحل الشيخ جابر الأحمد تقاديا لما حصل لاحقا، أي لإجتياح عراقي للكويت. كان هذا الاجتياح مغامرة مجنونة غيرت المنطقة جذريا

